

ذاك عندي وليست الدار داري	باقتراب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لأهلها عند أهلي	غرسوا من ذكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قسواه	بكمأة تحت السنور حمس
وأعانوا على كتائب أريسا	ط بطعن على النحور ودعس

الخلفية التاريخية لهذه الأبيات معروفة، ويلخصها محقق الديوان بقوله إن في الأبيات إشارة إلى «العون الذي قدمه الفرس في عهد أنوشروان إلى اليمنيين الذين يرجع إليهم نسب الشاعر ... وذلك حين ساعد الفرس سيف بن ذي يزن أمام غزو الاحباش لليمن بقيادة أرياط...»^(١٦) لكن البحثري يعلم أن تلك العلاقة القديمة، أو العون الفارسي القديم، لم يكن الأخير وأنه شخصياً شهد علاقة أخرى تمثلت في تداخل الفرس بالدولة العباسية، إلى أن تفكك الجانب السياسي لذلك التداخل بمقتل المتوكل وحلول الأتراك كقوة مهيمنة بديلة. ومن هنا يبدو اعتراف الشاعر بأن الفرس «أيدوا ملكنا» وأن لهم «نعمي عند أهلي/غرسوا من ذكائها غيرغرس» ذا مدلولات سياسية تاريخية وثقافية أبعد من مجرد العون الذي قدمه أباطرة الفرس لسيف بن ذي يزن. فالحضور الفارسي في الثقافة العربية الإسلامية حضور لا يمكن إنكاره، وهو حضور لا يتمثل في الإيوان فقط، أو في العلاقات السياسية، وإنما في ذلك التزاوج الحضاري الذي أوجد الإسلام إطاره وباركه، في ذلك الحشد من العلماء والكتاب والإضافات الثقافية التي أثرت ثقافة العرب والمسلمين وشئون حياتهم المختلفة.

استناداً إلى كل هذه الإشارات، صريحها وضمنيها، يمكننا القول إن الخطاب الشعري السائد أو الأكثر هيمنة في سينية البحثري هو خطاب ينشد تعميق العلاقة بين الشاعر والإيوان من جهة، وبين العرب والفرس من جهة أخرى. أو حسب التعبير الذي استخدمته في هذه الدراسة، هو خطاب يسير نحو تحقيق التلاحم بين الذات وحضارة الآخر. ومع ذلك فلا بد من تذكّر أن ذلك الخطاب يظل غير قادر على الانفصال عن خطاب أو خط آخر يسير ملتصقاً به. ذلك هو إحساس البحثري باختلافه عن الثقافة الأخرى: «ذاك عندي وليست الدار داري/باقتراب منها ولا الجنس

(١٦) ديوان البحثري، ص ١١٦٢.